

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(145) الجواب مقيداً فالجملة القائمة مكانه تكون مثله، وله نظير في الكتاب العزيز مثل قوله: (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْدَتُنَاكَ لَفَدَدْ كِدْتَ تَرْكَنْ إِلَّا لَيْهَمْ شَيْئًا قَلِيلًا) (1) والمعنى أنَّهُ سبحانه ثبت نبيه فلم يتحقق منه الركون ولا الاقتراب منه. وقال سبحانه: (وَلَوْ لَا فَضْلُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ شَيْءٍ) (2) والمعنى أنَّهُ تفضُّله سبحانه على نبيه صار سبباً لعدم هم الطائفة على إضلاله. والآية مثل الآيتين غير أنَّ الجواب فيها محذوف لدلالة الجملة المتقدمة عليه بخلافهما. وحاصل الكلام: أنَّهُ في مورد الآية ونظائرها يكون الجزاء منتفياً بانتفاء شرطه، غير أنَّ هذه الجمل إنَّما تستعمل في ما إذا كانت هناك أرضية صالحة لتحقيق الجزاء، وإن لم يتحقق لانتفاء الشرط، وفي مورد الآية، أرضية الهم كانت موجودة في جانب يوسف لتجهزه بالقوى الشهوية، وغيرها من قوى النفس الامارة، وكانت هذه العوامل مقتضية لحدوث الهم بالفحشاء، ولكن صارت خائبة غير موفِّرة لاجل روية برهان ربِّه، والشهود اليقيني الذي يمنع النبي عن اقتراف المعصية والهم بها. وإن شئت قلت: منعت المحبة الإلهية التي ملأت وجوده وشغلت قلبه، فلم تترك لغيرها موضع قدم، فطرد ما كان يضاد تلك المحبة. وهذا هو مفاد الآية ولا يشك فيه من لاحظ المقدمات الأربع التي قدَّمتها. وعلى ذلك فيما أنَّ "اللام" في قوله: (ولقد همَّت به) للقسم يكون معنى _____ 1 . الإسراء: 74. 2 . النساء: 113.